

### من هنا يبدأ الحل



الجمعة 12 نوفمبر 2021 05:30 م

كتب: د. طلعت فهمي

#### من هنا يبدأ الحل

طلعت مقالا للأستاذ الدكتور جمال عبد الستار بعنوان: (الألواح هي الحل) ((1))، بدأه بتساؤلات عن الحركة الإسلامية ثم تناول أمر موسى عليه السلام مع قومه وأخيه هارون- عليهما السلام- حين رجع من ميقات ربه وعرض الكاتب وجهة نظره في معالجة موسى عليه السلام للموقف وكذلك أخيه هارون، واستنبط من ذلك تصورا حاكم من خلاله الحركة الإسلامية والتي يرى الكاتب أنها تخلت عن الألواح وتحاكمت للوائح أكثر من تحاكمها للألواح و(انحرفت في سيرها) على حد وصفه، إلى آخر ما ورد في مقاله.

وينقسم تناولنا مقال الكاتب إلى:

- استعراض قصة موسى عليه السلام من خلال القرآن والسنة والمفسرين الثقات
- مناقشة ما طرحه الكاتب من تساؤلات وردود حول الحركة الإسلامية.

أما ما يتعلق بقصة موسى وأخيه هارون عليهما السلام فأقول مستعينا بالله:

- إن نعم الله توالى على بني إسرائيل رغم الجحود والنكران: {قَالَ أَغْيَبْ لِي إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكَ عَلَيَّ عَلِيمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَأْذِنُونَ نِسَاءَكُمْ فِي دِيَارِهِمْ لِيُجِزُوا بِكَ وَأَنْتَ فِي الْيَأْسِ} (الأعراف).
- إن الله قد اصطفى موسى برسالاته وبكلامه وأعطاه الألواح: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكُتِبَ لَهَا فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَتَفْهِيمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَدْسِنَاهَا سَاءَ رِبِكُمْ ذَاذُنًا شَقِيحِينَ (145)} (الأعراف).
- أخبر الله موسى بفتنة قومه وأن السامري أضلهم: {قَالَ قَائِلًا قَدْ قَتَلْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا، وَقَالَ رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ... (من الأعراف: 150)، رجع الكليم ومعه ألواح الرحمة والهداية فسمع أصوات قومه.
- قال ابن عباس: "لما رجع موسى إلى قومه، وكان قريباً منهم، سمع أصواتهم، فقال: إني لأسمع أصوات قومٍ لاهين: فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل، ألقى الألواح فكسرها، وأخذ برأس أخيه يجره إليه" ((2))، قال ابن عباس: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمَعَايِنَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعَجَلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَابَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَابَ فَانْكَسَرَتْ" ((3)).

فكان هذا إلقاء الغاضب الغيور المتمرع وجهه من سوء فعال قومه وتلقيهم الدائم نعم ربهم بالجحود والنكران والارتكاس في حماة الشرك وعبادة عجل، فلم يكن إلقاء الألواح إلقاء مستبعد للمرجعية أو نائس للقدسية! فالألواح كما قال ربنا: {وَفِي نَسْفَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ}، والذين

عبدوا العجل لم يكونوا لربهم يرهبون، ورأوا كل آية فلم يؤمنوا، ورأوا سبيل الرشده فلم يتخذوه سبيلاً، ورأوا سبيل الغي فاتخذوه سبيلاً، فالذين عبدوا العجل غير مؤهلين لتلقي الألواح، والذين استضعفوا هارون وأرادوا قتله لا يصلحون لتسلم الألواح، فالألواح لها أهلها الجديرون بها وهناك آخرون مصروفون عنها: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاً آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ { (الأعراف: 146).

وننتقل إلى مناقشة تفسيرات وإسقاطات الكاتب:

أولاً: يقول الكاتب: "ولكن هذا الغضب حمله على أن يفعل شيئاً عظيماً، حمله الغضب على إلقاء الألواح، وسجلها القرآن ليدلنا على بيت الداء: (وألقى الألواح) - والألواح هي المرجعية الربانية، والألواح هي حمل الرسالة وإقامة الدين،".

وهنا لابد من وقفة لازمة تليق بجلال النبوة والاصطفاء وتناسب مع قدر رسول من أولي العزم من الرسل، موسى كليم الله المخاطب من ربه جل وعلا: {قَالَ يُمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (144)} (الأعراف).

هل موسى حين ألقى الألواح قد ولج بيت الداء؟

هل أهدر موسى المرجعية وعطلها وصار يتعامل مع أخيه منطلقاً من وجهات النظر؟

قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه، قال ابن العربي: "وفيها دليل على أن الغضب لا يغير الأحكام كما زعم بعض الناس، فإن موسى عليه السلام لم يغير غضبه شيئاً من أفعاله، بل اطردت على مجراها من إلقاء لوح وعتاب أخ وصك ملك. وقال المهدوي: لأن غضبه كان لله عز وجل" (4).

ومن المفيد هنا مراجعة كلام العلماء فيما يتعلق بعصمة الأنبياء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف.. وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول" (5).

ثانياً: يقول الكاتب: "فلما ألقى الألواح أصبح يتعامل مع أخيه منطلقاً من وجهات النظر، فأضحى يتناقش مع أخيه على مرجعية الاتفاقات واللوائح والقوانين التنظيمية، وليس على أرضية الأخوة الإيمانية، فالألواح ملقاة، ومرجعيتها معطلة حالة الغضب!!! فأوصله هذا الطريق إلى سلوك غير معهود في حياة الأنبياء، حيث تنازع مع أخيه حتى جذبه من رأسه ولحيته يجره إليه".

ولا أدري إن كان النبي الرسول كليم الله المطالب بالتبليغ لا ينطلق من مرجعية الشرع ويعمل من وجهة النظر بل صار معطلاً للمرجعية والشريعة بإلقائه الألواح وهو النبي المعصوم!

وهنا أتساءل: هل مرجعية الاتفاقات واللوائح والقوانين التنظيمية مرجعية تتنافى مع مرجعية الألواح؟

أقول: إن المرجعية لا تتجزأ، فالمسلمون مرجعيتهم ودستورهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، والاتفاقات واللوائح والقوانين التنظيمية المعتمدة من المصادر الأصلية لأننا نتعبد إلى الله ربنا بكل حركاتنا وسكناتنا فما بالك باللوائح والقواعد المنظمة لدعوتنا التي هي من صميم ديننا والتي نراها فريضة شرعية وضرورة بشرية.

بل إنه في إطار القوانين الوضعية يتحاكم الأفراد والهيئات إلى المحاكم الإدارية إذا أصدرت الجهات الإدارية قرارات تخالف القوانين المعمول بها، ويتحاكمون إلى المحاكم الدستورية إذا أصدرت الجهات التشريعية قانوناً يتعارض مع الدستور الذي هو أبو القوانين.

وفي الإسلام تأتي السنة النبوية بمثابة اللوائح والقواعد المنظمة للعبادات والمعاملات، فالقرآن أمرنا بالصلاة والزكاة ولكن جاءت السنة مبينة موضحة لقواعد الصلاة شروطاً وأركاناً وسنناً وتنظيماً وضبطاً لأداء الإمام والمأمومين وقواعد أداء الزكاة حولاً ونصاباً وقدرراً في الأموال والأنعام والزروع والثمار فلا يستسيغ المرء فهماً وديناً أن يتصور أن تكون مرجعية الاتفاقات واللوائح والقوانين التنظيمية عند الراسخين في العلم والدين تتنافى مع مرجعية الألواح فضلاً إذا كان الحديث يتعلق بالمصطفى الكليم موسى عليه السلام.

ثالثاً:

هل كان موسى في حالة تنازع مع أخيه هارون؟

هل مقتضيات الأخوة الإيمانية تتنافى مع القواعد التنظيمية؟

هل كان هارون هو ضابط البوصلة؟

ماذا كان دور هارون بالتحديد الذي غضب موسى من تقصيره فيه فأخذ برأسه يجره إليه؟

الإجابات في الآية الكريمة: {وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا لَهَا بِعَشْرِهَا قَاسِمًا مِّمَّا مِيقَاتُ رَبِّهِ إِنَّ رَبَّكَ لَيَّكْفِي لِيْلَةً} وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَذِلُّ لَكَ إِنِّي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحٌ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ { (الأعراف: 142)، وبمراجعتها يتبين الآتي:

• أن موسى عليه السلام قد ذهب لميقات ربه بموعدة ثلاثين ليلة تمت بعشر فكانت أربعين ليلة

• أن موسى أعلم قومه وواعدهم بالانتظار لما سيأتي به من أمر ربه.

• أن موسى استخلف أخاه هارون في قومه في مهمة محددة وهي الاستخلاف القائم على الإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين.

والحديث هنا يقتضي تحرير الألفاظ وضبط المصطلحات، فقد كان موسى هو الرسول لبني إسرائيل، وما هارون إلا من جملة قومه بهذا الاعتبار، وإنما كان هارون رسولاً مع موسى لفرعون خاصة.

وبناء على هذا الوصف فقد حدد موسى الرسول المهمة لأخيه النبي هارون: {أَذْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}.

ومعني اخلفني: كُنْ خَلَفًا عَنِّي وَخَلِيفَةً، وهو الذي يتولى عمل غيره عند فقده فنتهي تلك الخلافة عند حضور المستخلف، فالخلافة وكالة. ((6)).

"وجمع موسى في وصيته ملاك السياسة بقوله: {وَأَصْلِحْ}؛ فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحاً، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره، فإن عادت بالصلاح عليه وبضده على غيره لم تعتبر صلاحاً، ولا تلبث أن تؤول فساداً على من لاحت عنده صلاحاً، {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} تحذير من الفساد بأبلغ صيغة لأنها جامعة بين النهي عن فعل تنصرف صيغته أول وهلة إلى فساد المنهي عنه وبين تعليق النهي باتباع سبيل المفسدين.

وقد أجرى الله على لسان رسوله موسى، أو أعلمه، ما يقتضي أن في رعية هارون مفسدين، وإنه يوشك إن سلكوا سبيل الفساد أن يسايرهم عليه لما يعلم في نفس هارون من اللين في سياسته، والاحتياط من حدوث العصيان في قومه، فتوجه موسى بالخطاب لهارون ووجوه قومه قائلاً: {يَسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي}، وهذا خطاب لهارون ووجوه القوم، فأما هارون فلأنه لم يحسن الخلافة بسياسة الأمة كما كان يسوسها موسى، وأما القوم فلأنهم عبدوا العجل بعد غيبة موسى، ومن لوازم الخلافة فعل ما كان يفعله المخلوف عنه، فهم لما تركوا ما كان يفعله موسى من عبادة الله وصاروا إلى عبادة العجل فقد انحرفوا عن سيرته فلم يخلفوه في سيرته.

وأما أخذه برأس أخيه هارون بجره إليه، أي إمساكه بشعر رأسه، وذلك يؤلمه، فذلك تأنيب لهارون على عدم أخذه بالشدّة على عبادة العجل، واقتضاه على تغيير ذلك عليهم بالقول، وذلك دليل على أنه غير معذور في اجتهاده الذي أفصح عنه بقوله: {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} {طه: 94} لأن ضعف مستنده جعله بحيث يستحق التأديب، ولم يكن له عذر، وكان موسى هو الرسول لبني إسرائيل، وما هارون إلا من جملة قومه بهذا الاعتبار، لذا لم يسعه إلا الاعتذار والاستصفاح.

وفي هذا دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة غير معذور فيه صاحبه في إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد". ((7)).

فيتضح من استعراض ما سبق:

أن العلاقة بين موسى وهارون كانت علاقة استخلاف ووكالة من موسى لهارون في قوم موسى على الإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين وأن هارون كان في موقف المعتذر والمبرر، ومن تبرير هارون تلمح منه احتكامه إلى القواعد واللوائح في قوله:

- {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}،
- {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي} أي: حسبوني ضعيفاً لا ناصر لي،
- {وَكَاذِبًا يَفْتُلُونَنِي} يدل على أنه عارضهم معارضة شديدة ثم سلم خشية القتل،
- {قَلْبًا نَشِئْتُ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} تبرير على تبيين عذره في إقرارهم على ذلك، فطلب من أخيه الكف عن عقابه الذي يشمت به الأعداء لأجله، ويجعله مع عداد الظالمين فطلب ذلك كناية عن طلب الإعراض عن العقاب.

رابعاً: يقول الكاتب: "اتخذ موسى عليه السلام خطوتين للتصحيح:

الأولى: أنه لم يطل التدقيق في البحث عن هو المخطئ ومن المصيب، ولكنه تعالى على الخلاف، وأعلنها منهجية تغافر لا تفاضح وتراحم لا تقاطع: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۗ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف: 151).

الثانية: عاد إلى الألواح: "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ۗ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ" (الأعراف: 154)، فلا توفيق ولا هداية ولا رحمة بعيداً عن الألواح".

فهل كان توصيف الكاتب صحيحاً؟

أقول: في كلمة التصحيح ما يوحي بارتكاب الخطأ وهذا متمايش مع ما رآه الكاتب وفق تصور من تعطيل المرجعية وتحكيم الآراء والرؤى الشخصية، وأما عن تعبير الكاتب أن موسى عاد إلى الألواح فهذا يؤكد رأيه في أن مرجعية الألواح كانت متروكة ومعطلة وهذا ما ناقشناه آنفاً، والصواب الالتزام بالتعبير القرآني: {أَخَذَ الْأَلْوَابَ}.

خامساً: هل اقتصر موسى على ما ذكره الكاتب أم اتخذ إجراءات وقرارات خلا منها المقال؟

اتخذ موسى عليه السلام عدداً من الإجراءات والقرارات تمثلت فيما يلي :

- تبرئة هارون من تهمة التقصير التي قد يتخيلها المتابعون للمشهد فقد استبان لموسى اجتهاد هارون في نهيمهم والتصدي لهم حتى أنهم أرادوا قتله، فكان دعاء موسى لنفسه ولأخيه هارون: { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۗ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } .
- التحقيق مع رأس الفتنة السامري وإنزال العقوبة المناسبة لجرمه .
- إزالة المنكر (العجل) ونسفه في اليم نسفاً .
- إعادة الأمور إلى نصابها ورفع راية التوحيد عالية .
- إنزال العقوبة بالمفسدين عبدة العجل .
- أخذ الألواح بقوة كما أمره ربه .
- اختيار وفد التوبة والاعتذار: {وَأَذْهَبْنَا مُوسَى بِقَوْمِهِ قَوْمَهُ ۗ وَوَدَّعَيْنَا رَجُلًا ۗ فَمَا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ هٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۗ إِنَّكَ مُبْتَلٰى بِمَا تَعْمَلُ} .

وبهذا تتكامل الإجراءات والقرارات التي اتخذها موسى عليه السلام في الحفاظ على وحدة قومه تحت راية التوحيد بعد فتح باب التوبة للتائبين وعقاب المفسدين.

"فقد كان اجتهاد هارون عليه السلام مرجوحاً؛ لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة عليه، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع، ولذلك لم يكن موسى قافياً عليه أن هارون كان من واجبه أن يتركهم وضلالهم وأن يلتحق بأخيه مع علمه بما يفضي إلى ذلك من الاختلاف بينهم، فإن حرمة الشريعة بحفظ أصولها وعدم التساهل فيها، وبحرمة الشريعة يبقى نفوذها في الأمة والعمل بها" ((8)).

سأدساً: يقول الكاتب: "الألواح تتمثل في العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين"، فهل الأمر كذلك؟

أقول إن الفارق كبير بين المرجعية ومن يحملها ويتكلم بها أو يعمل بها، فقد ورد في صحيح الإمام مسلم بسنده عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي أمراءه وقادة جيوشه فيقول: "وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيي، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيي، ولكن اجعل لهم ذمة أوصيائك، فإنكم أن تحفروا دممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا". ((9)).

فهنا يظهر الفارق جلياً في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بين المرجعية ومن يحمل لواءها ويعمل في سبيلها حتى وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيما أورده البخاري: "قال ابن عباس ومجاهد: ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم" ((10)).

وأكرر قولاً مشهوراً يتداوله أهل السنة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: "من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة" ((11)).

وفي رواية أخرى، أنه قال: "ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن: آمن، وإن كفر: كفر؛ وإن كنتم لا بدّ مقتدين، فاقفوا بالميث؛ فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة" ((12)).

وفي الحقيقة أن هذا القول يمثل عصمة من الزلل لعموم الأمة، خصوصاً حال انحراف بعض أهل العلم عن جادة الصواب.

أما عن الاتهامات التي ساقها الكاتب للحركة الإسلامية فإن كان مقصده جماعة الإخوان المسلمين فأقول:

- إن جماعة الإخوان منذ نشأتها هي جماعة رائدة علمائية بمؤسسها الأستاذ الشيخ حسن البنا والذي عده الشيخ محمد الحامد من مجتهدي الأمة.
- شارك الشيخان الكريمان الأزهرين حامد عسكرية وأحمد محمود الشيخ حسن البنا هم وعبء تأسيس جماعة الإخوان المسلمين.
- كان الإمام البنا والإخوان من الذين يقدرون للأزهر وأهل العلم قدرهم؛ فمنذ مكتب الإرشاد الأول للإخوان المسلمين عام 1931م وكان به ثلاثة من علماء الأزهر مروراً بوكبة كريمة في إدارة الإخوان الشيخ حامد شريت والشيخ أبو الحمد ربيع والشيخ محمد عبد الله الخطيب والعالم الرباني المجاهد الشيخ الدكتور عبد الرحمن البر.
- إن مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين والذي يضم اثني عشر أستاذاً جامعياً وسبعة من الأطباء والمهندسين والباحثين حاملي العديد من المؤهلات العلمية والدرجات الجامعية والخبرات العملية في شتى العلوم والمجالات دليل على مكانة العلم والعلماء في جماعة الإخوان المسلمين.
- وقد جعل الإخوان المسلمون في سلم أولوياتهم رعاية آلاف من طلاب العلم والأزهر وكليات العلوم الشرعية في العالم شرقاً وغرباً ولولا ظروف العنت والتضييق لأحصينا، ولكن كفى بالله شاهداً مطلعاً عليماً خبيراً.
- ولقد اهتم الإخوان بالآلاف الطلاب النابهين في شتى العلوم والمجالات والذين تفاجأ بهم نظام مبارك أساتذة في الجامعات وسائر المجالات فما كان من النظام الجائر إلا أن أوصد أمامهم أبواب تولي عمادة الكليات ورئاسة الجامعات ومجالس الإدارات وحال دون ترفيتهم أو تعيينهم ابتداءً، واعتمد نظام النذب وألغى الإنتخابات وأمم النقابات؛ لمنع تقلد هؤلاء النابهين مكائهم اللاتفة المستحقة في صدارة الهيئات والمؤسسات.
- وإن العلماء الذين تخرجوا من جماعة الإخوان المسلمين ونشأوا في ربابها أكثر من أن تحصيه الأوراق أو يشملهم الحصر، وإنه ليعوزنا معجم مفهرس لعلماء الإخوان وخريجي مدرستهم ومحبيهم لتعلم الدنيا ماذا خسرت بالحرب على جماعة الإخوان المسلمين، أو كما قال عزيز صدقي- رئيس وزراء مصر الأسبق:- "علينا أن نعتذر لشعب مصر لأننا حرمانه من الإخوان المسلمين".

وأقول ما حيلة الإخوان مع نابهين ودعاة شغلهم صفق الأسواق والمشروعات، وسعهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَسْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَسْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانُوا يَلْزِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُونَ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُونَ مَا لَا يَحْفَظُونَ) ((13)).

وما حيلة الإخوان مع زمرة صالحة يرون أنفسهم جديرين بالإدارة والصدارة، وإن التجارب لتشهد وتقرر أن أساتذة للإدارة والإقتصاد يتخرج من تحت أيديهم آلاف النجباء، ولكنهم عند إدارتهم الوزارات والهيئات يكون البون شاسعاً بين درجاتهم العلمية ومحاضراتهم التدريسية وبين أدائهم الإداري.

وليس كل دارس للعلوم الشرعية مؤهلاً للإفتاء؛ فالفارق معلوم بين الحكم الشرعي الذي هو: "خطاب الله تعالى، المتعلق بأفعال المكلفين، اقتضاءً أو تخييراً أو وضاعاً" ((14)). وبين الفتوى والتي هي: "بيان الحكم الشرعي عند السؤال عنه، وقد يكون بغير سؤال ببيان حكم النازلة لتصحيح أو وضع الناس وتصرفاتهم" ((15)).

وكم من مفت هلك وأهل وأصل وقتل ويصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال" ((16)).

وكان المفتي القاتل والمستفتي المقتول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكم أورد مفتون شاباً متحمساً في المشارق والمغرب موارد الهلكة بفتاوى لم تراع المال ولم توازن بين المصالح والمضار وتعاملت مع الأمر كأنه حلال وحرَام، وغاب عنهم أن الفقه ليس بيان الحكم فحسب بل مراعاة فقه المآلات وفقه الموازنة بين المصالح، والموازنة بين المفاسد، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والشواهد حاضرة ماثلة.

إن دعوة الإخوان ترى الإسلام ديناً ينتظم مظاهر الحياة جميعاً امتثالاً لقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (المائدة: من الآية 3)، وكما أرشدنا الإمام حسن البنا رحمه الله في رسالته بين الأمس واليوم: "أيها الإخوان إذا قيل لكم إلام تدعون فقولوا ندعو إلى الإسلام والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه، فإذا قيل لكم هذه سياسة، فقولوا هذا هو الإسلام ولا تعرف هذه التقسيمات" ((17)).

لم يفارق الإخوان المسلمون دعوتهم يوماً في أحلك الظروف والأوقات، ولكن دعوتنا وديننا كما قال نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون، شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" ((18)).

حقيقة وواقعاً... الإخوان المسلمون القرآن دستورهم والرسول قدوتهم وفق مبادئهم الخمسة، ودفع الإخوان المسلمون ثمناً غالياً عبر السنين وفي شتى الأمصار حفاظاً على الدين وهوية الأمة ولو تخلوا عن قرآنهم لفتح لهم مغاليق الأبواب.

ما حيلة الإخوان مع نابيهين يرون ممارسة الدعوة بلا سياسة وممارسة السياسة بلا دعوة، ويرون حل الجماعة، وتحويل الجماعة إلى تنظيم اجتماعي، ويرون المواءمة والتماهي مع أصحاب الجاه والنفوذ والمال؟!

ولمن أراد أن يعرف كيف ينظر العالم إلى الإخوان فليقرأ ما كتبه هنري كيسنجر- مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق ووزير الخارجية في عهد الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد- عن الحركات الإسلامية، قال: "إن النظام العالمي الجديد لا يمكن أن يقف في وجه أي أيديولوجية إلا الإسلام، فالإسلام هو العدو الوحيد للنظام العالمي الجديد".

وقال: ومن دراستنا للإسلام يمكن أن نقسم الأمر إلى حطب وشرارات، فالحطب هو المجتمعات المسلمة والشرارات هي الجماعات العاملة للإسلام.

وقال أيضاً: "مهمتنا الأولى الحيلولة بين الحطب والشرارات حتى لا يتم التواصل، ومهمتنا الثانية وضع مسطرة الخطورة للشرارات حتى نستعين ببعض على بعض وإنا ننظر إلى الشرارات وجدنا أنها خمس درجات في الخطورة، أقلها خطورة: أصحاب الجانب العقدي في الإسلام وهؤلاء يمكن الاستفادة منهم، بعدهم في الخطورة: الذين يهتمون بالجانب الأخلاقي في الإسلام وهؤلاء لهم قيم، والنظام العالمي الجديد ليس له قيم مشتركة ولكنه يقول يمكن الاستفادة منهم لأنهم يأخذون قيادي المجتمع ويحشرونه في زاوية ضيقة في الحياة.

المستوى الثالث: من الجماعات التي تهتم بالجانب الثقافي ونشر الكتب وتحقيق المخططات، المستوى الرابع: الجماعات القتالية، وهؤلاء ربما يبني أحدهم تنظيمًا في ثلاث سنوات ثم يدخل معركة ويخسر التنظيم في ثلاث دقائق.

أخطر المجموعات هي المجموعة الخامسة: الذين يأخذون بالإسلام شمولياً فيغطون به جوانب الحياة، يقول إذا رفعتنا شعاراً رفعوه معنا ولكن بمفهومهم، إذا قلنا حقوق الإنسان يقولون نعم ولكن بمفهومهم، ديمقراطية يقولون نعم ولكن بمفهومهم، يقول خطورتهم تكمن في أمرين، صعوبة كشفهم حتى ربما يكونون في أروقة الكونجرس الأمريكي ونحن لا نعرفهم، والأمر الثاني في خطورتهم أن لديهم تصورًا كاملاً للدولة ويريدون تنفيذه متى أتحت الفرصة" ((19)).

فَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَنُّنٌ فَبَيْنَمَا نَحْوَرُهُ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا" ((20)).

وقد لخص هذا الحال: ابن عمر رضي الله عنه لما قال: "لَقَدْ عَشْنَا بِرَهَّةٍ مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلُ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُؤْتِي أَحَدَهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَايَحْتَهُ إِلَى خَاتَمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْزُرُهُ نَزْرَ الدَّقْلِ" ((21)).

فهل تكون الألواح حلاً كما يرى كاتب المقال؟

ومع أن الله قد أبدلنا خيراً من الألواح، ألا وهو القرآن الكريم؛ فإن القرآن وحده لا يكون حلاً بغير فهم رشيد، وإخلاص أكيد وعمل سديد.

ويمكن تلخيص ما سبق فيما يلي:

1. أن إلقاء موسى- عليه السلام- الألواح وكسرها لم يفسره أحد من العلماء بالتعطيل أو الترك، بل بالغضب الناتج من جحود قومه نعم الله عليهم ورجوعهم للضلال.
  2. ثنائية (تعارض اللوائح مع الألواح) مغلوبة؛ لأن المرجعية لا تتجزأ، والمسلمون مرجعيتهم ودستورهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والاتفاقات واللوائح والقوانين التنظيمية المعتمدة مشتقة من المصادر الأصلية، لأننا نتعبد إلى الله ربنا بكل حركاتنا وسكناتنا فما بالك باللوائح والقواعد المنظمة لدعوتنا التي هي من صميم ديننا والتي نراها فريضة شرعية وضرورة بشرية.
  3. كان هارون- عليه السلام- من جملة قوم موسى- عليه السلام-، واستخلف في مهمة محددة وهي الاستخلاف القائم على الإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين، والخلافة وكالة وتنتهي الخلافة عند حضور المستخلف، ومن لوازم الخلافة فعل ما كان يفعله المخلوفاً عنه.
  4. غضب موسى- عليه السلام- من الحال الذي وصل إليه قومه بعدما استخلف أخاه هارون فيهم، وظهر غضبه هذا في إلقائه الألواح وأخذه برأس أخيه، وليس في ذلك اتهام بالتعطيل أو تنازع أخوي! بدليل أنه لما هدأت غضبته- عليه السلام- أعلن تبرئة أخيه مما قد يتبادر للأذهان من اتهام: {قَالَ رَبِّ أَعْرِفْ لِي وَالْأَخِي وَأَدْرِ خَلْقَنَا فِي رَحْمَتِكَ} وأنت أرحم الرحيمين (151)؛ ثم بدأ بالإجراءات التي تؤكد التزامه بالألواح: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْهَيْكَلَاتِ سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْأَحْيَاةِ الدُّنْيَا} وكذلك نجد في (152) {الاعراف}.
  5. الفارق كبير بين المرجعية وبين من يحملها ويتكلم بها أو يعمل بها، والألواح لا تمثل في أشخاص، ومن كان مستنئاً فليستن بمن قد مات؛ فالحال لا تؤمن عليه الفتنة، وقد استدللنا على ذلك من سيرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم-.
  6. من أهم قواعد وأصول إصدار الحكم الشرعي في مسألة ما، قاعدة تحرير المفاهيم التي تتضمنها المسألة، وتعريفها تحريفاً واضحاً .
  7. وبمراجعة ما سبق أرى أن الحل يبدأ من:
- الإنطلاق من الفهم الأصيل للإسلام ديناً ينتظم مظاهر الحياة جميعاً - قراءة المرحلة الراهنة قراءة عميقة في إطار الفقه الصحيح للكتاب والسنة.
- الالتزام الكامل بأصول الدعوة وأركانها وواجباتها وأدبياتها ولوائحها ونظمها.
- إدراك طبيعة الحرب على جماعة الإخوان المسلمين والنظر إليها نظرة منصفة من خلال إنجازاتها طيلة ثلاثة وتسعين عاماً.
- الوفاء ببيعتنا مع ربنا نصره لديننا.
8. وأخيراً.. إن جماعة الإخوان المسلمون جماعة من المسلمين يعترها ما يعترى البشر من نقص وقصور وما نبرئ أنفسنا ولكننا نعمل ما وسعنا الجهد



## المراجع:

1. المقالة منشورة على موقع عربي 21: <https://arabi21.com/story/1394091>
2. تفسير الطبري: (الأعراف: 150) - 15129 <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya150.html#tabary>
3. حديث صحيح، أخرجه الحاكم 2/321 من طريق العباس بن محمد الدوري، عن سريح بن النعمان، بهذا الإسناد. وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان (6213) عن الحسن بن سفيان، وابن عدي في "الكامل" 7/2596 عن إبراهيم بن أسباط، وأبو الشيخ في "الأمثال" (5) عن حامد بن شعيب البلخي، ثلاثهم عن سريح بن يونس، عن هشيم، به.
4. من تفسير القرطبي: (الأعراف: 150) <https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura7-aya150.html>
5. (مجموع فتاوى ابن تيمية) ((4/319)).
6. التحرير والتنوير لابن عاشور: [https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=996&idfrom=986&idto=986&flag=0&bk\\_no=61&ayano=0&bookhad=0](https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=996&idfrom=986&idto=986&flag=0&bk_no=61&ayano=0&bookhad=0)
7. التحرير والتنوير لابن عاشور - من تفسير سورة الأعراف
8. التحرير والتنوير لابن عاشور - من تفسير سورة طه - الآية 94
9. صحيح مسلم: <https://www.dorar.net/hadith/sharh/123912>
10. جزء (القراءة خلف الإمام)، البخاري، ص: 213
11. أثر رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (2/947). رقم (1810)، وفي إسناده ضعف.
12. رواه الطبراني في (9/152) (8764)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ((1/185)): رجاله رجال الصحيح.
13. الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 118
14. أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة، ص: 29، دار الفكر العربي، طبعة: 2006م.
15. مجمع الفقه الإسلامي - قرار رقم 153، الدورة السابعة عشرة بعمان (المملكة الأردنية الهاشمية) من 28 جمادى الأولى إلى 2 جمادى الآخرة 1427هـ، الموافق 24 - 28 حزيران (يونيو) 2006م.
16. الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: أبو داود | المصدر: سنن أبي داود | الصفحة أو الرقم: 336
17. الإمام حسن البنا - رسالة (بين الأمس واليوم): <https://www.ikhwanwiki.com/index.php?>
18. الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 35
19. منقول من فيديو للشيخ العلامة الددو: <https://www.youtube.com/watch?v=Yx-h0qE9Rao>
20. الراوي: جندب بن عبدالله | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: 52
21. رواه الحاكم في "المستدرک" (1 / 35)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً"، ووافقه الذهبي

